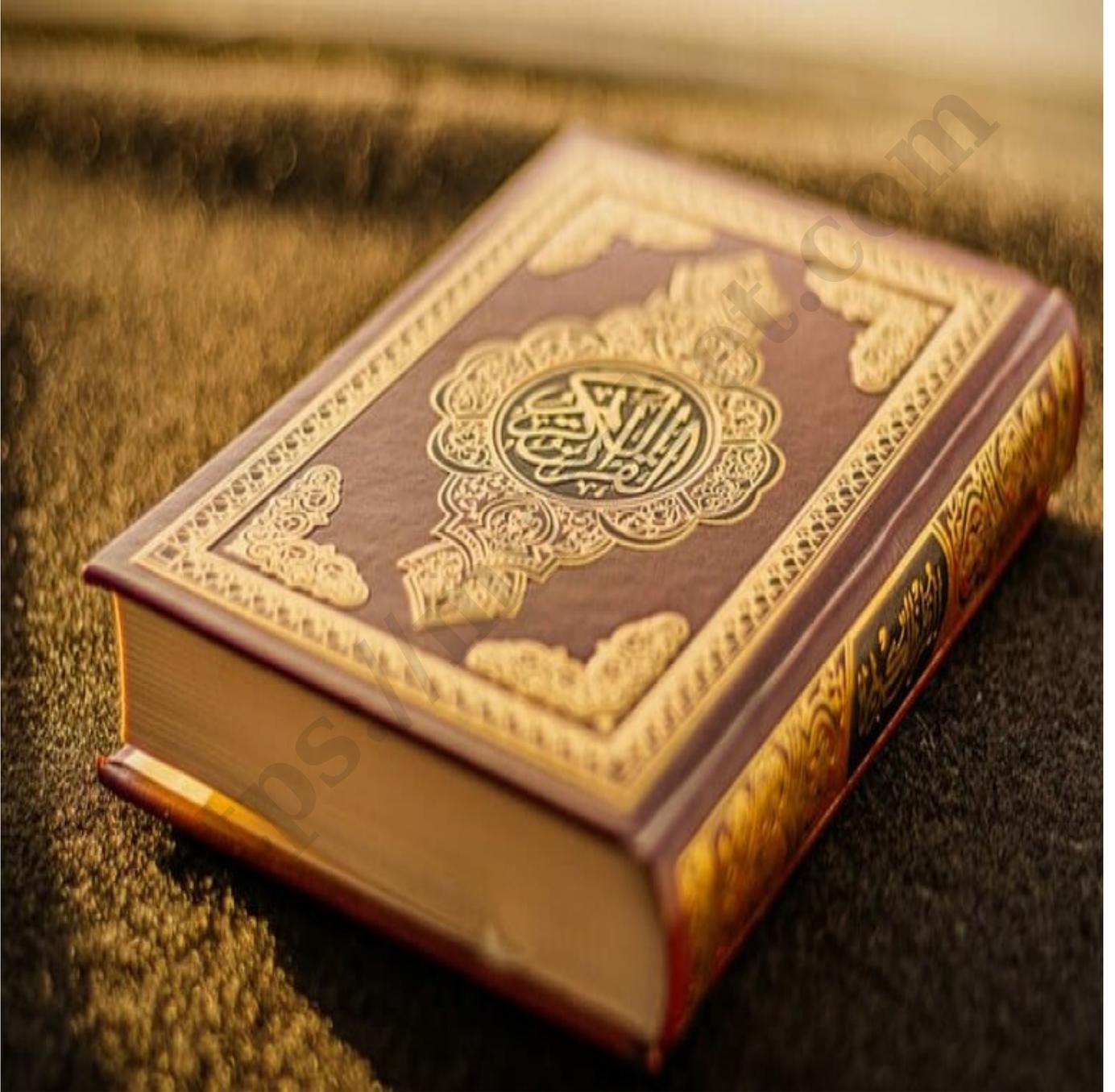


الانتفاع بالقرآن الكريم

الكاتب: ابن القيم



قَاعِدَةٌ جَلِيلَةٌ: إِذَا أَرَدْتَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ
وَسَمَاعِهِ وَأَلْقِ سَمْعَكَ وَاحْضِرْ حُضُورَ مَنْ يَخَاطِبُهُ بِهِ مِنْ تَكَلُّمٍ بِهِ
سُبْحَانَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ فَانْهَ خَاطِبُ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ قَالَ تَعَالَى
{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}
وَذَلِكَ أَنْ تَمَامَ التَّأثيرِ لَمَّا كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى مُؤَثِّرٍ مُقْتَضٍ وَمَحَلِّ
قَابِلٍ وَشَرَطَ لِحُصُولِ الأَثَرِ وَانْتِفَاءَ المَانِعِ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْهُ تَضَمَّنَتْ
الآيَةُ بَيَانَ ذَلِكَ كَلَّهُ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَبْيَنِهِ وَأَدْلَاهُ عَلَى المُرَادِ فَقَوْلُهُ {إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا} اِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هَهُنَا وَهَذَا
هُوَ المَوْثِرُ وَقَوْلُهُ {لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} فَهَذَا هُوَ المَحَلُّ القَابِلُ
والمُرَادُ بِهِ القَلْبُ الحَيُّ الَّذِي يَعْقِلُ عَنِ اللّهِ
كَمَا قَالَ تَعَالَى {إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} أَي
حَيِّ القَلْبِ وَقَوْلُهُ {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ} أَي وَجَّهَ سَمْعَهُ وَأَصْغَى حَاسَّةَ
سَمْعِهِ إِلَى مَا يُقَالُ لَهُ وَهَذَا شَرَطُ التَّأثيرِ بِالكَلَامِ وَقَوْلُهُ {وَهُوَ
شَهِيدٌ} أَي شَهِدَ القَلْبُ حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبٍ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ اسْتَمَعَ
كِتَابَ اللّهِ وَهُوَ شَهِدَ القَلْبُ والفَهْمُ لَيْسَ بِغَافِلٍ وَلَا سَاهٍ وَهُوَ
إِشَارَةٌ إِلَى المَانِعِ مِنْ حُصُولِ التَّأثيرِ وَهُوَ سَهْوُ القَلْبِ وَغَيْبَتُهُ عَنِ
تَعَقُّلِ مَا يُقَالُ لَهُ وَالنَّظَرُ فِيهِ وَتَأَمُّلُهُ فَإِذَا حَصَلَ المَوْثِرُ وَهُوَ القُرْآنُ
والمَحَلُّ القَابِلُ وَهُوَ القَلْبُ الحَيُّ وَوَجَدَ الشَّرْطَ وَهُوَ الإِصْغَاءُ
وَانْتِفَاءُ المَانِعِ وَهُوَ اسْتِغْثَالُ القَلْبِ وَذَهْوُ لَهُ عَنِ مَعْنَى الخُطَابِ
وَانْصِرَافِهِ عَنْهُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ حَصَلَ الأَثَرُ وَهُوَ الْإِنْتِفَاعُ وَالتَّذَكُّرُ
فَإِنْ قِيلَ إِذَا كَانَ التَّأثيرُ إِنَّمَا يَتِمُّ بِمَجْمُوعِ هَذِهِ فَمَا وَجَّهَ دُخُولَ أَدَاةِ
أَوْ فِي قَوْلِهِ {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ} وَالمَوْضِعُ مَوْضِعٌ وَآوُ الجَمْعُ لَا

مَوْضِعٍ أَوْ الَّتِي هِيَ لِأَحَدِ الشَّيْئَيْنِ قِيلَ هَذَا سُؤَالَ جَيِّدٍ وَالْجَوَابُ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ خَرَجَ الْكَلَامُ بِأَوْ بِاعْتِبَارِ حَالِ الْمُخَاطَبِ الْمَدْعُوِّ فَإِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ حَيِّ الْقَلْبِ وَاعِيَهُ تَامَ الْفِطْرَةَ فَإِذَا فَكَّرَ بِقَلْبِهِ وَجَالَ بِفِكْرِهِ دَلَّ قَلْبَهُ وَعَقْلَهُ عَلَى صِحَّةِ الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ الْحَقُّ وَشَهِدَ قَلْبُهُ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ الْقُرْآنَ فَكَانَ وُرُودُ الْقُرْآنِ عَلَى قَلْبِهِ نُورًا عَلَى نُورِ الْفِطْرَةِ وَهَذَا وَصَفَ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ} وَقَالَ فِي حَقِّهِمُ اللَّهُ نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلَ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْبُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ فَهَذَا نُورُ الْفِطْرَةِ عَلَى نُورِ الْوَحْيِ وَهَذَا حَالُ صَاحِبِ الْقَلْبِ الْحَيِّ الْوَاعِي.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْعَبَرِ فِي كِتَابِ اجْتِمَاعِ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى غَزْوِ الْمَعْطَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ فَصَاحِبُ الْقَلْبِ يَجْمَعُ بَيْنَ قَلْبِهِ وَبَيْنَ مَعَانِي الْقُرْآنِ فَيَجِدُهَا كَأَنَّهَا قَدْ كَتَبَتْ فِيهِ فَهُوَ يَقْرَأُهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَكُونُ تَامًا الْإِسْتِعْدَادِ وَاعِي الْقَلْبِ كَامِلِ الْحَيَاةِ فَيَحْتَاجُ إِلَى شَاهِدٍ يَمَيِّزُ لَهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَلَمْ تَبْلُغْ حَيَاةَ قَلْبِهِ وَنُورَهُ وَزَكَاءَ فِطْرَتِهِ مَبْلُغَ صَاحِبِ الْقَلْبِ الْحَيِّ الْوَاعِيِ فَطَرِيقَ حُصُولِ هِدَايَتِهِ أَنْ يَفْرَغَ سَمْعَهُ لِلْكَلامِ وَقَلْبَهُ لِتَأْمَلِهِ وَالتَّفَكِيرِ فِيهِ وَتَعْقِلَ مَعَانِيهِ فَيَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَنَّهُ الْحَقُّ فَالْأَوَّلُ حَالٌ مِنْ رَأْيِ بَعْضِهِ مَا دَعِيَ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَ بِهِ وَالثَّانِي حَالٌ مِنْ عِلْمِ صِدْقِ الْمُخْبِرِ وَتَيَقُّنِهِ وَقَالَ يَكْفِينِي خَبْرُهُ فَهُوَ فِي مَقَامِ الْإِيمَانِ وَالْأَوَّلُ فِي مَقَامِ الْإِحْسَانِ هَذَا قَدْ وَصَلَ إِلَى عِلْمِ الْيَقِينِ وَتَرَقَّى قَلْبُهُ مِنْهُ إِلَى فَنزَلَتْ عَيْنَ الْيَقِينِ وَذَلِكَ مَعَهُ التَّصَدِيقُ الْجَازِمُ الَّذِي خَرَجَ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَدَخَلَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ فَعَيْنَ الْيَقِينِ نَوْعَانِ نَوْعٌ فِي الدُّنْيَا وَنَوْعٌ فِي الْآخِرَةِ فَالْحَاصِلُ فِي الدُّنْيَا نَسْبَتُهُ إِلَى الْقَلْبِ كَنَسْبَةِ الشَّاهِدِ إِلَى الْعَيْنِ وَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ

الْغَيْبُ يَعِينُ فِي الْآخِرَةِ بِالْأَبْصَارِ وَفِي الدُّنْيَا بِالْبَصَائِرِ فَهُوَ عَيْنٌ
يَقِينٌ فِي الْمَرْتَبَتَيْنِ

المصدر:

ابن قيم الجوزية، الفوائد.

الكلمات المفتاحية:

#ابن-القيم #الفوائد #القرآن-الكريم

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعنى بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.

<https://murabet.com>